

يوصيكم الله في أولادكم

(الجزء الأول من سلسلة الخطب)

لأبي عبد الرحمن

عبد الرقيب بن علي بن أحمد أبو عبد الرحمن الكوكباني

كان الله له في الدارين

بمسجد أم القرى صنعاء

حرسها الله

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٣). أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

أيها المؤمنون، إن من سنة الله عز وجل الكونية ابتلاء الناس بالخير والشر. يقول الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾^(٤). ألا وإن من مظاهر الابتلاء بالخير والشر ما يكون من الإعطاء والمنع ومن القبض والبسط، وإن الله على كل شيء قدير. يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعطي من يشاء ويمنع من يشاء. وجاء في "الصحيحين" من حديث المغيرة رضي الله عنه أن رسول الله

^(١) سورة آل عمران: (١٠٢).

^(٢) سورة النساء: (١).

^(٣) سورة الأحزاب: (٧٠-٧١).

^(٤) سورة الأنبياء: (٣٥).

صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»^(٥).

وجاء في السنن من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : « واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف »^(٦).

ألا وإن من مظاهر الإعطاء والمنع الذي يأذن الله به كوناً لحكمة وابتلاء وامتحان ما يكون من العقم والإنجاب لدى البشرية. فمن رزقه الله ولداناً ذكوراً خالصاً أو إناثاً خالصاً أو مختلطين، فذلك ابتلاء من الله. ومن جعله الله عقيماً فذلك ابتلاء من الله فليس إعطاء الله العبد الأولاد دليلاً على محبته. ولا جعله عقيماً دليلاً على بغضه إياه. ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾^(٧).

إذن بارك الله فيك: الإعطاء والمنع والعقم والإنجاب: ليس السر فيهما ذاتهما وإنما السر في المواقف التي يتخذها العبد إزاء هذا الابتلاء. فإن كان عقيماً صبر واحتسب، وذلك خير له. وإن كان له أولاد شكر الله وقام بواجب الأولاد من النصح والنصيحة والتربية الصحيحة حتى تبرأ ذمته عند الله ويكون قد أدى الواجب وقد شكر الله على هذه النعمة.

عباد الله، الأولاد فتنة. الأبناء بلاء من الله يبلوكم به. يمتحنكم به. ليس الشأن كما قال الكفار: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾^(٨).

فاستدلوا بالأرزاق المادية وبوجود الأولاد لديهم على أن الله يحبهم ويفضلهم على من سواهم. كلا والله الأمر ابتلاء. ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾^(٩).

^(٥) أخرجه البخاري (٨٤٤) ومسلم (٥٩٣).

^(٦) أخرجه الترمذي (كتاب صفة القيامة/ باب - ٥٩ / (٢٥١٦) / مكتبة المعارف). قال الإمام الوادعي رحمه الله: صحيح لغيره / "الصحيح المسند" رقم (٦٨٥) / دار الآثار.

^(٧) سورة الشورى: (٤٩، ٥٠).

^(٨) سورة سبأ: (٣٥).

وروى أبو داود في سننه من حديث بريدة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه و سلم، فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما، عليهما قميصان أحمران ويقومان، فنزل فأخذهما فصعد بهما المنبر ثم قال: «صدق الله ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ رأيت هذين فلم أصبر» ثم أخذ في الخطبة^(١٠).

عليك أن تقوم بواجب الشكر. يا من رزقك الله أولاداً. ومن لازم الشكر أن تقوم بحق الله في عيالك من التربية البدنية بإعداد الزاد والطعام والشراب. على قدر ما عندك من الساعة. ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾^(١١) ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(١٢). وعليك أيضا أن تقوم بواجب التربية الإيمانية وحملهم على مكارم الأخلاق، وذودهم وإبعادهم عما لا يليق بهم كآدميين ومسلمين وعباد صالحين لله. فأبناء إما أن يكونوا قرة عين في الدنيا وجنة للوالد في الآخرة. فلذلك قال عباد الرحمن: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(١٣).

وروى مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو» وضم أصابعه^(١٤).

والأبناء الصغار والناشئة هم غصنتك في الدنيا ونارك في الآخرة إن لم تقم بواجب النصح والنصيحة. ولذا روى مسلم في صحيحه من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه أنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «ما من عبد استرعه الله رعية، فلم يحطها بنصيحة، إلا لم يجد رائحة الجنة»^(١٥).

^(٩) سورة التغابن: (١٥).

^(١٠) أخرجه أحمد (٢٣٠٤٥) وأبو داود (١١٠٩) والترمذي (٣٧٧٤) / صحيح.

^(١١) سورة الطلاق: (٧).

^(١٢) سورة البقرة: (٢٨٦).

^(١٣) سورة الفرقان: (٧٤).

^(١٤) أخرجه مسلم (٢٦٣١).

^(١٥) أخرجه البخاري (٧١٥٠) ومسلم (١٤٢).

ويكونون في الدنيا غصة لك، فمنهم من يضرب أباه لأنه لم ينعم في صغره بحسن التربية، ومنهم من يشتم والديه، ومنهم من يخرجهما من المنزل طرداً. نعم، والله المستعان.

معاشر المؤمنين، لو أطلّ الإنسان برأسه من نافذة الهدي النبوي إلى معاملة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم للصغار والولدان والصبيان والناشئة لرأى عجبا عجاباً. فقد كان عليه الصلاة والسلام يولي الأبناء عناية واهتماماً من حيث التأسيس والتأديب والتقييم والحمل على مكارم الأخلاق. فمن هديه عليه الصلاة والسلام أنه كان يربي الصبي على العقيدة الصحيحة وعلى التوكل على الله والاعتماد عليه والثقة به سبحانه. وهو صبي صغير ومع ذلك يعي ما يقول الرسول عليه الصلاة والسلام، ويعتني رسول الله به.

جاء عند الترمذي في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يوماً فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف»^(١٦).

وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من هديه: تربية الناشئة والصغار والولدان على صدق الحديث واللهجة وعلى مجانبة الكذب، ولو كان المتكلم مازحاً.

روى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن عامر، أنه قال: دعني أُمي يوماً ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطيك، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «وما أردت أن تعطيه؟» قالت: أعطيه تمراً، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة»^(١٧).

^(١٦) أخرجه الترمذي (كتاب صفة القيامة/ باب- ٥٩/ ٢٥١٦)/ مكتبة المعارف). قال الإمام الوادعي رحمه الله: صحيح لغيره/ "الصحيح المسند" رقم (٦٨٥)/ دار الآثار).

^(١٧) أخرجه أحمد (١٥٧٠٢)، وأبو داود (٤٩٩١).

يربيهم على الصدق وعلى حسن الكلام وعلى مجانبة الكذب ولو في حال مزاح^(١٨).

ومن هدي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تربية الصغار والأبناء والصبيان على البعد عن كسب الحرام، وعن كسب المشبوه، وعلى البعد عن تعاطي الحرام والشراب والطعام ولو أن أحدهم باشره دون البلوغ ما كان آثماً ولكنه يمرنه ويدربه على الورع وعلى خشية الله وعلى الخوف من الله في المكاسب والطعام والشراب لأنه أيما جسم نبت من حرام ومن سحت فالنار أولى به.

أخرج الشيخين في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يؤتى بالتمر عند صرام النخل فيجيء هذا بتمره وهذا من تمره، حتى يصير عنده كوما من تمر. فجعل الحسن والحسين رضي الله عنهما يلعبان بذلك التمر فأخذ أحدهما ثمرة فجعلها في

قال محقق مسند أحمد: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لإبهام مولى عبد الله بن عامر، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن عجلان، فقد أخرج له مسلم متابعة، وهو حسن الحديث. هاشم: هو ابن القاسم أبو النضر، وليث: هو ابن سعد. وأخرجه ابن أبي شيبه ٥٩٣/٨، وأبو داود (٤٩٩١)، والبخاري في "التاريخ الكبير" ١١/٥، والخرائطي في "مكارم الأخلاق" ص ٣٣، والبيهقي في "السنن" ١٩٨/١٠، وفي "شعب الإيمان" (٤٨٢٢) من طرق عن ليث بن سعد، بهذا الإسناد. وأخرجه البيهقي في "السنن" ١٩٨/١٠-١٩٩ من طريق يحيى بن أيوب، عن محمد بن عجلان، به، وسمى مولى عبد الله بن عامر زيادا، ولم نعرفه كذلك.

وله شاهد من حديث أبي هريرة مرفوعا، سلف برقم (٩٨٣٦)، إلا أنه من رواية الزهري عن أبي هريرة، ولم يسمع منه. ولفظه: "من قال لصبي: تعال هاك، ثم لم يعطه فهي كذبة. ووقع هناك خطأ فحكم على إسناده بالصحة على شرط الشيخين! وسببه انتقال نظر إلى الحديث الذي قبله.

وذكر العراقي في تخريج أحاديث "الإحياء" ١٣٥/٣ أن له شاهدا آخر من حديث ابن مسعود، وإن رجاله ثقات. قلنا: يريد حديثه السالف برقم (٣٨٩٦) موقوفا، بلفظ: "لا يعد الرجل صبيّا ثم لا ينجز له"، وإسناده صحيح على شرط مسلم. وذكرنا هناك أنه أخرجه مرفوعا ابن ماجه برقم (٤٦) لكن من طريق موسى ابن عقبة، عن أبي إسحاق السبيعي. ولم يذكر فيمن سمع منه قبل التغير.

^(١٨) ومن هذا الباب حديث هز بن حكيم قال: حدثني أبي، عن جدي، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «ويل للذي يحدث فيكذب، ليضحك به القوم، ويل له ويل له». أخرجه أحمد (٢٠٠٤٦)، وأبو داود (٤٩٩٠) والدارمي (٢٧٤٤)، وهو حديث حسن.

فيه. فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأخرجها من فيه فقال: «كخ كخ ارم بها. أما علمت أن آل محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يأكلون الصدقة»^(١٩).

كان يربي الناشئة والصبيان والولدان في الطعام الحلال على التأدب بآدابه. فليس الشأن أن تكتسب الحلال ثم لا تتأدب بآداب التناول. لا. تكتسب الحلال وتتأدب بآداب الأكل للطعام الحلال. روى الشيخين في صحيحيهما عن عمر بن أبي سلمة، يقول: كنت غلاماً في حجر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وكانت يدي تطيش في الصحيفة، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك» فما زالت تلك طعمتي بعد^(٢٠).

يعني: كان عمر ربيباً لرسول الله لأن رسول الله زوج أمه أم سلمة. ونشأ على القيام بالآداب في الطعام والشراب.

وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعامل الصبيان والولدان والغلمان معاملة فيها اعتراف بشخصهم وبذواتهم. نعم حتى إن الصبي يخاطب النبي عليه الصلاة والسلام وهو يشعر بالاحترام له والإكرام له والاعتبار له والاعتراف بشخصه وذاته حتى صدر منهم ما يصدر من الكبار. ألا ترى إلى معاذ ومعوذ ابن عفراء، ماذا صنعا بأبي جهل. اختلف فيه ضربات بالسيف حتى قتله، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كل واحد منهما يخبر رسول الله أنه قتله^(٢١). ففعل يصدر من كبار القوم

^(١٩) أخرجه البخاري (١٤٨٥) ومسلم (١٠٦٩).

^(٢٠) أخرجه البخاري (٥٣٧٦) ومسلم (٢٠٢٢).

^(٢١) أهذا إشارة إلى حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: بينا أنا واقف في الصف يوم بدر، فنظرت عن يميني وعن شمالي، فإذا أنا بغلامين من الأنصار - حديثه أسنانها، تمنيت أن أكون بين أضلع منهما - فغمزني أحدهما فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل؟ قلت: نعم، ما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والذي نفسي بيده، لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر، فقال لي مثله، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، قلت: ألا إن هذا صاحبكم الذي سألتاني، فابتدراه بسيفيهما، فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فأخبراه فقال: «أيكما قتله؟»، قال كل واحد منهما: أنا قتلت، فقال: «هل مسحتما سيفيكما؟»، قال: لا، فنظر في السيفين، فقال: «كلاهما قتله»، سلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح، وكانا معاذ ابن عفراء، ومعاذ بن عمرو بن الجموح. (أخرجه البخاري (٣١٤١) ومسلم (١٧٥٢)).

ومن الشجعان أهل البسالة والبطولة. وهذا من صبيان صغار لأن النبي عليه الصلاة والسلام كان يعاملهم معاملة فيها إكرام واحترام فيشعرهم بأنهم يصلحون للتعامل، ولكن ما منهم إلا له مقام معلوم.

كان يعترف بهم ويعتبرهم في السلام. فعن ثابت أنه كان يمشي مع أنس، فمر بصبيان فسلم عليهم، وحدث أنس أنه كان يمشي مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فمر بصبيان فسلم عليهم^(٢٢).

يسلم على الصبيان وهم يردون السلام ويشعرون بهذا الاعتبار من رسول الأمة من سيد الناس يوم القيامة، وربما قاموا بمهام كبيرة وهم دون تلك المهام في السنّ بمراحل ولكنه التعامل النبوي مع هؤلاء الغلمان والولدان.

وكان يعتبرهم ويحترمهم في مسألة الكلام. جاء في "الصحيحين" من حديث أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ يقال له أبو عمير، وكان إذا جاء قال: «يا أبا عمير، ما فعل النغير؟» نغر كان يلعب به^(٢٣).

كان لهذا الصبي طائر لكنه مات فحزن عليه الغلام أبو عمير فكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا لقيه يقول: «يا أبا عمير، ما فعل النغير؟»، فيخبره هذا الغلام بما كان من أمر الطائر حتى وافته المنية. نعم.

وكان عليه الصلاة والسلام يعتبر الغلمان في مسألة الحقوق لا يهملهم ولا يحتقرهم. جاء في "الصحيحين" من حديث سهل بن سعد رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أتى بشارب، فشرّب منه وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام: «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟»، فقال الغلام: لا والله يا رسول الله، لا أؤثر بنصيب منك أحداً، قال: فتلّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في يده^(٢٤).

^(٢٢) أخرجه البخاري (٦٢٤٧) ومسلم (٢١٦٨).

^(٢٣) أخرجه البخاري (٦٢٠٣) ومسلم (٢١٥٠).

^(٢٤) أخرجه البخاري (٢٤٥١) ومسلم (٢٠٣٠).

الأشياخ منهم أبو بكر وعمر. والغلام هو ابن عباس، وله أولوية في التوزيع ونيل الشراب ابتداء لأنه عن ذات اليمين. أعطاه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم هذا الصبي. نعم أيها المسلمون، هكذا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يربي الأجيال، ويربي الكبار والصغار والرجال والنساء، كل بما يليق بحاله وبما يليق بسمته ومقداره.

ولذلك معاشر المسلمين: الأبناء مسؤولية في أعناقنا جميعاً. ولهم علينا واجب النصح والتربية والتقييم والتأديب وهم يقبلون التعديل ولا زالوا صغاراً أما إذا شبوا وصاروا كباراً فيصعب على أحدنا تعديل هذا الصبي، كيف وقد صار كباراً بالغاً؟ كيف لك أن تعدله الآن؟ عليك أن تقوم بواجب التربية الصحيحة.

جاء في "الصحيحين" من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنه: سمع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «كلكم راع ومسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيته، والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»^(٢٥).

ترى من يسألك عن رعيته؟ أمير القوم؟ أو الرئيس؟ أو الوزير؟ يسألك الله، وليس بينك وبينه ترجمان، فأعد للسؤال جواباً، وللجواب صواباً. وإن قدر الله على بعض الأبناء انحرافاً وزيغاً لكن أباه قد أدى ما عليه والنصح والنصيحة فلا غظاظه عليه ولا لوم عليه لأن نوحاً قد أدى واجب النصح والنصيحة لولده ورباه تربية حسنة ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء. المهم أن تبرأ ذمتك بأداء النصيحة لأبنائك وبحمله على مكارم الأخلاق وتجنبي بهم مساوئها والله بعد ذلك يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته. قال الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾^(٢٦). هذه وصية من الله رب العالمين. وصية لاقت إهمالاً من كثير من الناس في شأن الأبناء والناشئة والولدان وهم جيل المستقبل

^(٢٥) أخرجه البخاري (٢٤٠٩) ومسلم (١٨٢٩).

^(٢٦) سورة النساء: (١١).

كما تعلمون، فلذلك ينبغي أن نعتني شيئاً بالتربية وبمنعهم من المعاصي والذنوب والآثام حتى ينشأوا على تجنبها يوم أن يأتي القلم يكتب عليهم ما كان من خير وشر.

معاشر المؤمنين، التربية الصحيحة لها جذور في باطن الأرض ولها فروع فوق الأرض كالشجرة تماماً. تأمل بالشجرة تقوم قياماً حسناً لأن لها جذوعاً في باطن التربة ولها فروعاً فوق الأرض وبالتالي فإنها إذا لاقت عناية فائقة من حيث الجذور بالسقاية والماء والعناية بمسألة المياه وكذلك تلقى عناية في الفروع والعناية بهوى وتربيتها كما يفعل الزارع وأهل الثمار فإنها تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها طيبة مباركة. وهكذا الناشئة والولدان فلهم أصول في التربية قبل ظهورهم على الدنيا ولهم أصول في التربية بعد ظهورهم على الدنيا.

فمن أسس التربية الصالحة قبل خروجهم إلى الدنيا حسن اختيار الزوجة أن يختار العبد الزوجة التي تتحلّى بالصفات والقيام في أعراف الناس وكذلك تتحلّى بالصفات المحمودة في الشرع الذي أنزل الله علينا. فلها قيام وأخلاق في أعراف الناس ولها آداب وأخلاق في الشريعة المحمدية فهذه نعم الزوجة إن ظفرت بها، نعم فلا تحرم نفسك الخير فأن الناس لهم في هذا مذاهب ومشارب، منهم من يعتني بمسألة الجمال ومنهم من يعتني بمسألة الحسب والنسب ومنهم من يعتني بكيث وكيث، فعليك أن تعتني بالدين.

عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجهالها ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك»^(٢٧). أخرجاه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فإذا جمع الله لك من هذا كله من الجمال والحسب والنسب وصلاح الدين فأنعم به وأكرم. ولو جمع الله لك إلى ذلك صلاح الأسرة التي اخترت منها البنت والتي اخترت منها الزوجة فوالله إنه النور على النور. نعم، ولذلك قال الله عز وجل عن قول اليهود لمريم: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾^(٢٨).

^(٢٧) أخرجه البخاري (٥٠٩٠) ومسلم (١٤٦٦).

^(٢٨) سورة مريم: (٢٨).

قال الخطابي رحمه الله في "معالم السنن": فقصوا بفساد الأصل على فساد الفرع^(٢٩).

يعني: ليس أبؤك بفاسدين، فكيف تفعلين هذه الفعلة. ولكن قد بين الله عز وجل براءة مريم وأنها ما جاءت بأمر فاحش ولا منكر وإنما ذلك أمر الله. ولكن انظر إلى ما قال هؤلاء: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾.

فإذا نشأت البنت نشأت صالحة في أسرة صالحة فإن هذا له أثر إيجابي على الذرية وعلى الأبناء أن الله يصلحهم ويكون هذا مسهما في صلاحهم وفي خيريتهم. نسأل الله أن ينفعنا بما ينفعنا.



الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقرارا به وتوحيدا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما مزيدا، أما بعد:

من أسس التربية الصالحة للناشئة والذرية قبل مجيئهم إلى الدنيا أن العبد يستن بالسنة النبوية في زواجه ونكاحه وآداب الزواج والنكاح التي منها: الدعاء بالبركة في هذه الزوجة التي دخلت عليك في دارك أن الله يريك خيرها ويجنبك شرها. نعم جاء في سنن أبي داود من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادما، ليأخذ بناصيتها وليدع بالبركة في المرأة والخادم - وفي رواية: فليقل اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها ومن شر ما جبلتها عليه، وإذا اشترى بعيرا فليأخذ بذروة سنامه وليقل مثل ذلك»^(٣٠).

^(٢٩) "معالم السنن" (٨٠ / ٤).

^(٣٠) أخرجه أبو داود (٢١٦٠).

وهذا ينعكس أثره على الذرية. هكذا عند العشرة آداب لها أثر إيجابي في التربية الصالحة يعينك الله بها يجنبك الله الشيطان ويجنب منه غلمانك وولدانك وأبنائك والناشئة فينشأوا نشأة صالحة فيكونون قرارة عين لك.

جاء في "الصحيحين" من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قال: «أما إن أحدكم إذا أتى أهله، وقال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقد ربي بينهما أو قال: قضى بينهما ولدا في تلك الليلة لم يضره الشيطان أبدا»^(٣١).

فهذا من الله رحمة لمن كان يحرص على الدعاء في مثل هذه المواطن حتى إذا ما جاء الولد وظهر على الدنيا يبادر الأب إلى تعويذه بالله من الشيطان الرجيم. ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(٣٢).

يجنكه بعد ذلك ويدعو له بالبركة. جاء في "الصحيحين" من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم^(٣٣).

يأخذ تمرًا ويلوكه فيه ثم يوسع به حنك الصبي ويدعو له بالبركة يدعو له بالصالح والتربية الحسنة نعم وأن يكون ملازمًا لمكارم الأخلاق والقيام والشيم التي يرضاها الله عز وجل. وهذا والله راحة لك في الدنيا وثواب وصدقة جارية لك من بعد موتك.

عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(٣٤).

^(٣١) أخرجه البخاري (٣٢٧١) ومسلم (١٤٣٤).

^(٣٢) سورة آل عمران: (٣٦).

^(٣٣) أخرجه البخاري (٦٣٥٥) ومسلم (٢١٤٧).

^(٣٤) أخرجه مسلم (١٦٣١).

نعم، رصيد مفتوح إلى صحيفة الحسنات من جراء التربية الصالحة. بعد هذا يلزمه أبوه إذا كان النشأة الصالحة لأبنائه يلزم التعويد في الليل والنهار حماية لهم من العين، ومن السحر ومن مس الشيطان، ومن شياطين الجن والإنس فحينئذ يسهم بالتربية الصالحة من خلال الدعاء ومن خلال التضرع إلى الله أن يعينه في هذا الأمر الذي هو عسير في ذاته وسهل على من سهل الله عليه. يسير على من يسر الله عليه.

في البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعوذ الحسن والحسين، ويقول: «إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة»^(٣٥).

يدعو الله أن يحفظهم من العين، ومن الشيطان. نعم.

بعد هذا أيها المسلم احرص على تفقد الصبي والولد في لباسه والنظافة مطلب شرعي والعناية بتغسيل الملابس والاعتناء بالأظافر مطلب شرعي لأن هذا يعكس خلقا صالحا على الولد لأن نظافة الظاهر تنعكس بالخير على نظافة الباطن. نعم ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾^(٣٦). «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس»^(٣٧). كما قال عليه الصلاة والسلام أخرج مسعود رضي الله عنه.

ليس الكبر أن يرى الرجل في الثوب الجميل والصبي يرى في الثوب الجميل والقميص الحسن. نعم، الكبر بطر الحق، وغمط الناس، وإن الله جميل يحب الجمال. ولكن عليك بتفقد اللباس. فلباس الكفار لا يجوز لنا. هل رأيت أن الكفار مع كفرهم ودناءتهم وخستهم عندهم قناعة في مظاهرهم ولباسهم. يلبسون البنطال. وعندهم قناعة في ذلك فإذا ما رأوا المسلمين تأسوا بهم لا سيما في مجامع الصلاة ومجامع الجمع ومجامع الأعياد ومجامع التي يحضرها المسلم يحيى الشعائر في المشاعر يرى في لباس الكافرين، والله

^(٣٥) أخرجه البخاري (٣٣٧١).

^(٣٦) سورة المدثر: (٤).

^(٣٧) أخرجه مسلم (٩١).

المستعان. وهكذا صار الناشئة من الغلمان والولدان لا يُعتنى بهم في مسألة اللباس لأنهم ينطلقون إلى المراكز الكبيرة فيختارون ما شاءوا مما يهواه الصبي وأنت أبوه ونحن في بلد المسلم أكرمنا الله بالإسلام ولنا زي هوزي أهل الإسلام.

ربما ذهب الرجل يباشر أعماله في الوظيفة ويرجع إلى بيته يخلع ذلك اللباس فيرتدي لباسه الذي يحبه الله ويشهد جمع المسلمين وجماعاتهم ويأخذ أبناءه على هذه الهيئة فإن هذا يشعر أنه مسلم وأنه لا بد أن يسير بسير أهل الإسلام.

أرأيت لو أن يهوديا أو نصرانيا جاء إلينا وعليه عمامة وقميص وجبة، هل يفرح المسلمون بذلك أم لا؟ لأنهم رأوا هذا قد صار يقتربون من المسلمين في هيئة اللباس فيرجون فيه خيرا. وكذلك هم يفرحون بنا معشر المسلمين إذا ما رأوا النشأة والجيد الجديد ينشأ هذه النشأة بلباس الكفار، الله المستعان.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(٣٨).

اختر علي نفسك وعلى أولادك يا عبد الله، نعم، وكذلك تعلمه الصلاة والصيام من صغره حتى يكبر ويصير قادرا على مزاوله هذه الأعمال في كبره. قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «مروا

^(٣٨) أخرجه أبو داود/ كتاب اللباس/ باب في لبس الشهرة/ ٤٠٢٦/ العون/ دار الحديث).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وهذا إسناده جيد، فإن ابن أبي شيبة وأبا النضر وحسان بن عطية ثقات مشاهير أجلاء من رجال الصحيحين وهم أجل من أن يحتاجوا إلى أن يقال: هم من رجال "الصحيحين". وأما عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان فقال يحيى بن معين، وأبو زرعة، وأحمد بن عبد الله: ليس به بأس. وقال عبد الرحمن بن إبراهيم دحيم: هو ثقة وقال أبو حاتم: هو مستقيم الحديث. وأما أبو منيب الجرجاني فقال فيه أحمد بن عبد الله العجلي: هو ثقة وما علمت أحدا ذكره بسوء وقد سمع منه حسان بن عطية وقد احتج الإمام أحمد، وغيره بهذا الحديث. اهـ ("اقتضاء الصراط المستقيم" / ١ / ص ٢٦٩-٢٧٠ / مكتبة الرشد).

ولا نحتاج إلى تطويل الكلام في سند هذا الحديث لأنه ثابت عند جلّ أهل السنة -إن لم يكن كلهم-. راجع كلام الإمام الألباني

رحمه الله في "إرواء الغليل" (رقم ١٢٦٩ / ط. المكتب الإسلامي).

أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر، وفارق بين مضاجعهم»، أخرجهم أبو داود من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده^(٣٩).

عَلَّم ولدك الصلاة والصيام قبل البلوغ حتى يقوى عليه إذا ما صار يافعاً بالغاً. نعم.

اعدل بين أولادك فإن هذا من أعظم أسس وأصول التربية الصالحة للنشأ والأجيال لأنك إذا فضّلت هذا على هذا أورثت بينهم العداوة والبغضاء والأحقاد وصاروا متناحرين في بيت واحد وأنت قد ساهمت في هذا.

جاء في "الصحيحين" من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: سألت أُمِّي أبي بعض الموهبة لي من ماله، ثم بدا له فوهبها لي، فقالت: لا أرضى حتى تشهد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فأخذ بيدي وأنا غلام، فأتى بي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال: إن أمه بنت رواحة سألتني بعض الموهبة لهذا، قال: «ألك ولد سواه؟»، قال: نعم، قال: «لا تشهدني على جور». وفي رواية: «اتقوا واعدلوا بين أولادكم»^(٤٠).

قالت أمها، وهي عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وهي امرأة تقية. وللنعمان إخوة آخر من الضرائر.

يعطي أبناءه بالسوية يعطي أبناءه العطايا والهبة والمنة لا تجعلهم متباغضين ومتناحرين. وما حصل بينهم من جراح أو قتل أو أذى فإن أباهم يحمل وزر ذلك لأنه لم يتق الله في أولاده. اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم.

^(٣٩) أخرج الإمام أحمد (٦٦٨٩) وأبو داود (٤٩٥)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما بسند حسن.

^(٤٠) أخرج البخاري (٢٦٥٠) ومسلم (١٦٢٣).

وعليك بملاحظة الولد من يجالس ومن يسحب لأن المجلس يعرف بالمجلس والصاحب صاحب،
 إما إلى الخير وإما إلى الشر. ففي "الصحيحين" من حديث أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي صلى الله
 عليه وعلى آله وسلم قال: «مثل المجلس الصالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك: إما
 أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً
 خبيثة»^(٤١).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

^(٤١) أخرجه البخاري (٥٥٣٤) ومسلم (٢٦٢٨).